مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ الله الذي أمرَ أن يُشرقَ من ظلمةٍ نورٌ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خزَفيةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غير يائسين* ومُضطَهدينَ ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غير هالكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوع لتظهرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائتة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينه على حسبِ ما كُتب إنّي آمنت ولذلك تكلَّمتُ فنحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلَّم* عالمين أنَّ الذي أقام الربَّ يسوع سيُقيمُنا نحن أيضاً

القديس ثاودوروس الستوديتي

في مثل هذا اليوم تعيّد كنيستنا المقدسة لأبينا البار ثاودوروس المعترف، رئيس دير القديس يوحنا المعمدان «ستوديون» في القسطنطينية. وُلد القديس ثاودوروس سنة ٧٥٨ لأسرة مؤمنة تقية، عريقة النسب مرموقة المكانة وميسورة الحال مما سهّل للقديس في نشأته تحصيل أفضل التعليم، من ألمع معلّمي الخطابة والفلسفة واللاهوت في العاصمة آنذاك. زمن ولادة القديس ونشأته كان زمن استفحال الحرب الأولى على الأيقونات المقدسة وانتشارها على مدى الإمبراطورية البيزنطية. بيد أن استقامة الإيمان التي تربّى عليها القديس، وعمق معرفته للأسفار المقدّسة والعقائد الشريفة، وتمكّنه من فنون الخطابة والشعر ومنطق المذاهب الفلسفية ومفرداتها، دفعت به إلى أولى صفوف المدافعين عن إكرام الأيقونات. وسرعان ما صار اسمه معروفاً، بل ومُهاباً، في المواجهات مع الهراطقة، في العاصمة وحولها. طيلة حياته راهباً فكاهناً ثم رئيس دير عانى قديسنا أقسى هجمات المضلّين، بما فيها الإبعاد والنفي والسجن والتعذيب، وبقي حتى الرمق الأخير مدافعاً عن الإيمان القويم، ما لان يوماً ولا استكان.

إلى جانب كتابته العقائدية، نظم القديس ثاودوروس كمّاً من التسابيح، وأكثر من نصف قوانين التريودي يُنسب إليه. لن نخوض هنا في سيرة القديس ثاودوروس ، إذ هي مفصّلة في السنكسار، لكنّنا سنحاول الإضاءة، بقدر ما يسمح لنا المكان، على بعض من منهجيّته في الدفاع عن إكرام الأيقونات.

العدد ٢٠١٢/٤٦

الأحد ١١ تشرين الثاني

تذكار الشهيد ميناس ورفقته

والشهيدة استفاني

والبار ثاودوروس الأستوديتي

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

على امتداد تعاليمه ودفاعاته، نرى القديس ثاودوروس يجرّد إكرام الأيقونات من المبالغات التقوية التي، وإن كانت بدافع التُقى، تؤدي إلى الانحراف عن الإيمان. وكأننا به يحصّن المؤمنين، وينير بالمعرفة أعين الضّالين، قبل أن يعرّي بالحجّة وما أوتي من مواهب تعاليمَ المُضلّين.

كان القديس ثاودوروس يشدِّد دائماً على أن الأيقونة لا تحمل لك طبيعة المصوَّر عليها، بل صورة

بيسوعَ فننتصب معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي تتكاثر النعمةُ بشُكرِ الأكثرين فتزداد لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلّمُ ماذا أعملُ لأرثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له ماذا كُتبَ في الناموس. كيف تقرأُ* فأجاب وقال أحبِبِ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبِك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلِّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال له بالصواب أجبتَ. إعملْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزكّيَ نفسَه فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميْتٍ* فاتّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريق فأبصره وجاز من أمامه* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكانِ فأبصرَهُ وجاز من أمامه* ثمَّ إنَّ سامريًّا مسافِراً مرَّ به فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليه وضمَّد جراحاتِه وصبَّ عليها زيتاً وخمراً وحمله على دابَّتِه وأتى به إلى فندقٍ واعتنى بأمرِه* وفي الغدِ فيما هو خارِجٌ أخرَجَ دينارَيْن وأعطاهما لصاحِبِ الفندق

شخصه. أي إنها تنقلك إلى حضرة المسيح الإله أو والدته الكلية القداسة أو قدّيسيه، في السماء، وليست هي حضرتهم أو تجسّداً لهم. الأيقونة تصوّر سمات المصوَّر عليها الشخصية، التي تميّزه. لأجل ذلك مثلاً نرى أيقونات كل من الرسل الأطهار متشابهة الملامح على مدى العصور، لأن كتابة الأيقونة تتلمّس فرادة الشخص في هذا الرسول او ذاك، وليس صفة الـ«رسول» فيه وحسب. أنت لا تتماهى مع القديس عموماً، بل مع هذا أو ذاك من القديسين تحديداً. لأنك متى كنت تواقاً إلى القداسة تتشجّع بمن ترى فيه نموذجاً يُحتذى به.

حضور الأصل في الصورة

يتحقق بمقدار أمانة الصورة للأصل. صحيح أن التقليد الشريف لم ينقل إلينا دائماً تفاصيل وصفية لملامح هذا القديس أو ذاك، لكننا عبر سيرته «نراه» فنصوّره. كذلك رؤى الأنبياء التي صارت هي الأصل لأيقونات رؤساء الملائكة والملائكة، الذين لا جسد مادياً لهم أصلاً. هذا الإلتقاء البصري مع الشخص عبر الأيقونة هو الذي يحمل العقل والقلب إليه ومعه في الصلاة.

بهذا التمييز بين الطبيعة والسمات لم يقصد القديس ثاودوروس أن يفصل كلياً بين الأيقونة بحد ذاتها، والشخص المصوّر عليها، بل أن يوضح علاقة النسبة بينهما. فالكتابة على أيقونة المسيح ربّنا مثلاً تقول «يسوع المسيح»، وليس «صورة يسوع المسيح». كذا بالنسبة إلى أيقونات الأحداث الخلاصية: فأيقونة الميلاد مثلاً لا تصوّر الطفل الإلهي والعذراء أمه وحسب، بل كل ما ارتبط بميلاد الرب كَرَيبة يوسف وبشارة الرعاة وزيارة المجوس ومجزرة أطفال بيت لحم. وعنوان الأيقونة «الميلاد»، وليس «تسلسل الأحداث حول الميلاد». صورة الميلاد في الأيقونة وحولها هذه الأحداث المرتبطة بالميلاد، هي معاً «سمات وجه» حَدَث الميلاد. تنقلك إلى حضرة هذا السر الإلهي العظيم، تنير ذهنك وقلبك إليه، ولكنها في الوقت عينه ليست لا تكراراً له ولا مجرّد سرد روائي مصوَّر. ولأجل هذا التمييز بالذات، أو قل بسببه، لا يعود إكرام الأيقونة جائزاً متى زالت عنها سمات خاصيتها، كالإسم أو الوجه، وما عاد ممكناً ترميمها.

بعض المغالاة التقوية يرفع الأيقونة إلى مرتبة القُدسات أو الأسرار الإلهية التي تحوي في ذاتها قدرة شفاء وتقديس: الخبز والخمر المستحيلان في القداس الإلهي هما في الحقيقة جسد الرب ودمه، وليس صورتهما. مياه المعمودية تحوي في ذاتها، بفعل الروح القدس، قوة التقديس. أما خشب الأيقونة فلا يصبح حاوياً في ذاته لقدرة تقديس. الأيقونة تتقدّس بالشخص المصوَّر عليها، وبصلوات الكنيسة، ولكنها لا تستحيل بأي شكل من الأشكال مادّة مُقدِّسة. الأيقونة تقدِسك، بالتأكيد، ولكن ليس كالقدسات الإلهية بل عبر العلاقة الروحية التي تنمّيها لك، مع الشخص المصوَّر عليها. «التأمّل في الأيقونات الشريفة ليس بحدّ ذاته تقديساً بل يطهّر، عبر البصر، مخيّلتك وينقّي قلبك. وكلّما تنقّى قلبك وصار شفافاً، كلما اقتربتَ من معاينة الله وفهم أسراره»، يقول أبونا البار ثاودوروس الستوديتي.

وقال له اعْتَنِ بأمره. ومهما تُنفِقْ فوق هذا فأنا أدفعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صنعَ إليه الرحمة. فقال له يسوع إمْضِ فاصنَعْ أنتَ أيضاً كذلك.

تأمل

«أحبِّب الربَّ إلهك من كل قلبك ومن كل ذهنك».

يا لصلاح الله الذي لا يعبَّر عنه. إن الله لا يحبنا فقط بمحبته التي لا تُحَدّ بل يطلب أيضاً محبتنا ويعتبرها جديرة بالتقدير ويفعل كل شيء لينالها. لماذا خلق السماء والأرض والشمس وكل العوالم المنظورة والجمال الذي لا يبارى في العالم غير المنظور بإشارة واحدة؟ لسبب بسيط. لكي نرى وسط الخلائق حكمته الكلية فنحبه. يصير البشر أهلاً للمحبة عندما يظهرون صلاحاً وحكمة. تنازل الله راضياً وصار إنساناً ليدلل لا عن محبته فقط بل لأنه يريد محبتنا. عمل كإله وإنسان واستعمل كل الطرق ليجذب إليه قلوبنا ويشعلها بنيران محبته الإلهية. ناموس الله ناموس صداقة ويعمل

صوم الميلاد

«هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم» (متى ٢١: ١٧). بهذه العبارة يوضح السيّد للتلاميذ أنّ الصوم حاجة ضروريّة إلى جانب الإيمان. بعض الأعمال الروحية الصعبة تحتاج إلى أن يترافق إيماننا مع الصوم. فالصوم يشكّل مدخلاً إلى حياةٍ خاصّة بالقرب من الله.

فَهِمَ المسيحيون تعليم السيّد هذا وبنوا تقاليدهم عليه، وهكذا أدخلت الكنيسة منذ القديم وعلى مرّ العصور، أصواماً متعدّدة إلى الروزنامة الطقسيّة.

بالرغم من وجود مسبق لفكرة الصوم والزهد عند بعض الديانات السابقة، إلاّ أنّ المسيحيين اختلفوا عن تلك الجماعات. ففي حين كان الصوم للخاصة، أي لفئة من النسّاك الذين زهدوا بالعالم وخرجوا إلى القفار، أتاحت المسيحية للمؤمنين جميعاً ممارسة هذا النوع من العبادة لتصبح فيما بعد القاعدة الرئيسيّة لحياةٍ روحيّةٍ مستقيمة. أشهر الأصوام عند المؤمنين في الكنيسة هي الصوم الأربعيني المقدّس (الصوم الذي يسبق الفصح المقدس)، صوم الرسل (يسبق عيد الرسولين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران)، صوم السيدة (من ١ إلى ١٤ آب) وصوم الميلاد الذي هو محور حديثنا وسيبدأ في الخامس عشر من هذا الشهر

منطلقةً من فكرة أنّ المؤمن يجب أن يتحضّر بشكلٍ لائق للإحتفال بالأعياد الكبرى، ولعيش الحالة الخلاصيّة المرتبطة بالعيد، رتّبت الكنيسة أصوامها كتحضيرٍ للمؤمنين. وبما أنّ عيد الميلاد يمثّل بدء الخلاص عبر ولادة المخلّص، ساوته الكنيسة إلى حدٍّ كبير بعيد الفصح من خلال تخصيص أربعين يوماً من الصوم قبل العيد بدءاً من الخامس عشر من شهر تشرين الثاني. إلاّ أنّ آباءنا القديسين إرتأوا بأن يُسمح بأكل السمك فقط ما عدا يومي الأربعاء والجمعة، مع الحفاظ على عادة الإنقطاع عن الزفرين طيلة الصوم. بذلك ميّز آباؤنا بين انتظار ميلاد السيّد وانتظار صلبه (مع علمهم أنّ الصلب لا يخلو من الفرح إذ لا قيامة من دون الموت).

إذاً الصوم ليس أمراً إعتباطياً في الكنيسة بل هو نمط حياة. قوانين الرسل التي تتحدّث عن تنظيم الأصوام تشهد لهذه الحالة. في حين أنّ بعض القوانين تفرض الصوم، إلاّ أنّ غيرها يمنعه في بعض الأيام. على سبيل المثال القانون ٦٤ حيث يورد الرسل القديسون «أيّما إكليريكي وُجد صائماً يوم الأحد أو السبت ما خلا السبت الواحد (سبت النور) فليُقطع، وإذا كان علمانيًّا فليُفرز». إذاً الكنيسة لم تفرض الصوم كالجزية وإنّما رتّبته ليكون لا عقاباً أو ضريبةً وإنّما حالة مشتهاة. لذا من غير الجائز اعتبار الصيام أمراً قاسياً وغير ممكن تطبيقه. وكأنّ المتذمّر منه يعتبر الكنيسة ساعيةً لإتعاب الشعب وإنهاكه من خلال فرض هذه القوانين. إنّما القوانين توجد عادةً لتنظيم الحياة المشتركة في الجماعة الواحدة، والمساهمة في خلاص المؤمنين.

أمّا وقد اقترب الصيام فتتعالى أصوات بعض المتحرّرين متجاسرين على انتقاد التقاليد الشريفة ومحاولين الإطاحة بروحيّة الصيام. نسمع انتقاداتٍ لهذا الصوم أو ذاك، أو إنتقادات

ليجعلنا أصدقاء شكورين. لذلك وجب أن يكون فكرنا في الله وهذا ليس بصعب. لا نحتاج إلى سكب العرق ولا إلى تعب ولا إلى إنفاق المال ولا إلى المرور بخطر العار ولا إلى أي شيء يقود إلى المضرة. من الممكن أن نقوم بعملنا وأن نفكر بالله. يمكن أن يقوم المرء بمهنته وأن يحب الله في وقتٍ واحد، يستطيع القائد أنّ ينصرف إلى عمله دون أن يكون هناك ما يمنعه من التفكير بالله.

لكي يفكر الإنسان بالله ليس عليه أن يلتجئ إلى الصحراء، ولا أن يغيّر غذاءه، ولا أن يستعمل ثياباً غير التي يستعملها، ولا أن يفرض على نفسه ناموس الحرمان فيؤثر في صحته ولا أن يقوم بأشياء اضطرارية. يستطيع أن يفكر بالله دون أن يخسر شيئاً، يستطيع ذلك في بيته. وعندما تفرض محبة الله التعب والكد فعلى الإنسان أن يتعب من أجل هذه المحبة. نحن بشر وقد أُعطينا العقل لنفكر فلماذا لا نفكر دائماً بالأفضل أي بالله الذي أخذنا منه العقل؟

القديس نقولا كاباسيلاس

للإنقطاع عن اللحوم متعلّلين بأنّها تغذّي الجسد، أمّا الإنتقاد الأشنع فهو القول بأنّ هذا الصوم حديث وليس له نفعٌ، فإذ بهم يقولون بطريقةٍ غير مباشرة إنّه بدعة. إنّ مجرّد الإنطلاق من هكذا أفكار ليس سوى رفض مسبق للصوم قبل النقاش في جدواه. لا يمكن لمن يريد البحث في أهميّة الصوم أن ينطلق من منطق العبء وصعوبة التطبيق. علينا أن ننظر إلى الأمر بموضوعيّة إذا ما أردنا أن نصل إلى خاتمة منطقيّة. إنّ الأصوام قد دخلت في مراحل مختلفة إلى حياة الكنيسة كما سبق وأشرنا، ولا أحد يدّعي أو يهمّه أن يكون أيّ من الأصوام بدأ منذ اليوم الأول للجماعة المسيحية. الصوم أتى نتيجة الخبرة الروحية والحياة الجماعيّة في الكنيسة. لم يفرض أحد الصوم على الكنيسة بل عاشته الكنيسة وتبنّته ليكون ركناً في تقليدها المتوارث. اللافت أنّ هذه الخبرة وهذا التقليد أعطيا الكنيسة جوقاً من الشهداء وأعداداً لا تحصى من الأساقفة والمعترفين والأبرار القديسين. مع حياة القداسة هذه، ازدادت الأصوام والصلوات كما اجتازت الكنيسة كلّ المحن التي واجهتها بالصلاة والصوم حسب تعليم السيّد. لم تكن الصلوات والأصوام مصدر عبء رغم وجود القوانين في حينها، بل كانت السلاح الذي واجه به المؤمنون الشدائد.

من ناحية أخرى نرى في عصرنا هذا أنواعاً شتّى من الإلحاد وضعف الإيمان والإبتعاد عن الله. يأتي هذا في موازاة النزعة نحو انتقاد الكنيسة بشكل عام والصوم بخاصة. لا نريد هنا الجزم وإنّما لفت نظر المؤمن إلى أنّه في الماضي كانت الحياة بسيطة وشعر الناس بالقرب من الله. أمّا اليوم فنسمع دائماً تململاً عند المحن بأنّ الله تخلّى عن الناس أي هناك شعور بالبعد عن الله. ويتجرّأ هؤلاء على انتقاد القديم وذلك لأنهم اعتادوا على سهولة الحصول على أيّ طلب.

أخيراً نقول إنّ الصوم هو دعوةٌ لكلّ مؤمن ليتحدّى نفسه ويخرج من الحياة اليوميّة ويدخل في تحضير لعيش حياةٍ روحيّة. إنّه زهد واكتفاءٌ بقليل من الطعام لنتمكّن من إطعام إخوتنا الجياع. لننظرنّ في الصوم لا إلى الشكل أو الطعم بل إلى إخوتنا المعوزين.

صوم الميلاد

تبتدئ الكنيسة المقدسة ابتداءً من الخامس عشر من تشرين الثاني صوم الميلاد الذي يمتد لأربعين يوماً نتهيَّأ فيه لإستقبال ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد.

في هذا الصوم نمتنع عن أكل كافة أنواع اللحوم والحليب ومشتقاته، ويُسمح فقط بأكل السمك ما عدا يومي الأربعاء والجمعة، كما يُسمح بتناول وجبة الفطور صباحاً.

أهّلنا الرب أن نصير هياكل وأواني مقدسة مستعدة لاستقبال الرب في ميلاده بيننا.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb